الفصل الثاني

المحاصرون

ماذا يفعل الأطفال الصم في عالمنا العربي في ظل الحصار الدائم وفقدان الأمل المستمر بفعل التهميش والتجاهل الذي يحيط بهم من كل اتجاه؟

فالأطفال الصم محاصرون مكبلون بالقيود النفسية والاجتماعية وهي قيود غاية في القسوة تفرضها إعاقتهم وهشاشة العلاقة بينهم وبين الأسوياء، ومسئولية الحصار الذي يعيشه الأطفال الصم موزعة على جهات عدة على رأسها (الأسرة) فالأسرة الغير واعية والغير متقبلة لإعاقة طفلها والرافضة له تكون أسرة عديمة الفاعلية في أحيان كثيرة ولا تستطيع أن توفر لطفلها الأصم أي نوع من الحماية، كل ما في الأمر أنها تعطيه قدراً ما من العطف والمودة ثم تدفعه عارياً لمواجهة أقدار في عالم بالغ المشقة.

ثانياً المؤسسات التعليمية بتلك النظم التعليمية المتخبطة أحياناً والمتخلفة في أحيان كثيرة والتي تقتل ما في داخل الأطفال من إبداع وتزرع فيهم الخوف والريبة من الحياة الدنيا ومما لا شك فيه أن المناهج الدراسية المتخلفة التي تدرس للأطفال الصم تعكس القصور المفرط في الاهتمام بتلك الفئة الخاصة والتعامل معهم بحضارة، وكذا عدم بذل المجهود للنهوض بتعليمهم وتنمية ثقافتهم ومداركهم مما يضيق الخناق على الأطفال الصم ولا يتيح لهم بأن يأخذوا نصيبهم العادل من خبرات الطفولة. وتتحمل المؤسسات التعليمية عبئاً كبيراً في هذه المسئولية لأنها واحد من أكثر العوامل أهمية في التطور، فعليها أن تتخلى

عن دورها التلقيني وأن تنصرف لتربية القدرات المبدعة إذ أن تطوير أي قدرات خاصة مرهون بالجهد الذي يبذل في هذا الاتجاه ، وعلى المدرسة أن تغذي في هؤلاء الأطفال حب الاطلاع والحيوية والتطوير الفني والاتجاه نحو النشاط والبحث. فمثل هذه الخصائص هي المحركات الأولى لنمو الإبداع.

ويرى العالم الكبير "ألبرت أينشتاين" أن التعليم بشكله النظامي يعوق ظهور العبقرية ولا يدعمها ، فهذه النبتة الصغيرة في روح كل طفل في حاجة إلى الحرية ، إلى إشباع حب الاستطلاع المقدس. ويقول "أينشتاين" عن أنظمتنا التعليمية العربية (بشكل عام) التي لا تخنق الحرية فقط ولكنها تقتلها عمداً! فهي أنظمة غير فاعلة تعتمد على الحشو والتلقين لمناهج متخلفة يكتب معظمها موظفون رسميون وهي أيضاً تفتقد أي بعد يربطها بالواقع الاجتماعي والثقافي وفوق ذلك كله فهي لا تترك مجالاً يعبر فيه الطفل عن نزعاته الفردية أو عن مواهبه الخاصة إنه نظام تعليمي يصلح لتربية أي شيء إلا الذوات المنفردة. فهو يركز على تلقينهم فضيلة الخضوع وينزع من داخلهم ملكات النقد والتحليل وبالتالي يفقدهم التربية الديمقراطية ويخلق منهم مجموعة من الموظفين الخاضعين لكل ما يتلقونه أو يلقى عليهم من أوامر.

هذا النقد المرير لأنظمتنا التعليمية العربية من عالم كبير يكشف عن أحد جوانب العبقرية التي تنفر من كل أنواع القيود ، والشيء المدهش أنه برغم الإنجازات العظيمة التي قدمها "أينشتاين" للبشرية في مجال علم الفيزياء ونظرية النسبية التي كانت فتحاً جديداً في النظر إلى الظواهر الكونية فإن تعليمه النظامي لم يتجاوز مرحلة البكالوريوس ولم تكن له كمية كبيرة من الشهادات التي يمكن أن يتفاخر بتعليقها فوق الحائط.

وأطالب المسئولين بوزارة التربية والتعليم أن يقوموا بتعديل اختيار المدرسين المرشحين للبعثة الداخلية الخاصة بإعداد مدرس التربية الخاصة بحيث لا تقتصر هذه البعثة على المدرسين الحاصلين على دبلوم المعلمين أو بعض الأقسام الصناعية لدبلوم الدراسات التكميلية . كما هو متبع الآن ، بل لابد وأن تمتد لتشمل كافة العاملين بمدارس التربية الخاصة ودون وضع المؤهل في الاعتبار نهائياً ، فالمعلم الفاضل الذي تطوع للعمل والجهاد في هذا الميدان الإنساني البالغ المشقة من حقه على تلك الوزارة أن تقوم بإعداده وتدريبه وتبصيره بكيفية التعامل مع تلاميذه من الفئات الخاصة بل أنني أذهب لأبعد من ذلك وأرى أنه من حق عامل المدرسة أن تنظم له الدورات الخاصة لزيادة وعيه وتثقيفه وإعداده للتعامل مع هؤلاء الأطفال ذوى الاحتياجات الخاصة.

كما يجب على المسئولين بوزارة التربية والتعليم تطوير الأقسام الحرفية داخل مدارس الأمل للصم حيث أنه من الملاحظ أنها تعتمد على أقسم تقليدية كالنجارة والملابس الجاهزة وطباعة المنسوجات في حين أنني أرى أنه من العقلانية أن تعمل تلك الوزارة على تحديث وتطوير هذه الأقسام المهنية بحيث تواكب التطور التكنولوجي الذي نعيشه ولابد من استحداث أقسام أخرى كصيانة الأجهزة والإلكترونيات ، فكل عمل يعتمد على الفن والإبداع يتقنه المعاقين الصم ولكن إذا أردنا نحن إعدادهم لهذا الإبداع وسمحنا لهم بأن يصبحوا مبدعين حقاً ، كما أقترح على جامعة الدول العربية أن تقوم بمبادرة إنسانية وحضارية عظيمة ستظل للأبد شاهد عيان على توحد العرب وريادتهم وتفوقهم في مواجهة الهموم والقضايا الإنسانية ، وذلك بالإعلان عن إقامة أول جامعة عربية لذوى الاحتياجات الخاصة السمعية على أن يبدأ العمل فيها بافتتاح معهد في

للصناعة وكلية للعلوم التكنولوجية تشرف عليها منظمة الثقافة والعلوم والتربية التابعة لجامعة الدول العربية ونكون بهذا العمل الإنساني العظيم قد ساهمنا في بناء القاعدة الأساسية للتعليم العالي الخاص بذوى الاحتياجات الخاصة السمعية في العالم العربي ، هذا العالم الذي علم الأمم كيف تكون الحضارة ، فالحضارة بداخل كل عربي منا ولكنها بحاجة إلى مناخ لتتفجر من جديد ، عندها نقدم للعالم نماذج عربية حضارية لا تقل في أهميتها أو تفوقها عن التفوق الأوربي أو الأمريكي.

ماذا يريد الصم منا ؟؟؟

الطفل الأصم ليس أعياداً أو مؤتمرات ، ولا شهراً واحداً في العام وإنما هو هموم الأسوياء كل شهر وكل يوم وكل ساعة ، والأطفال الصم يريدون منا الكثير ، وفرق كبير بين ما نريد نحن أن نقدمه إليهم وما يريدون هم أن نقدمه إليهم .

إن الأطفال الصم الذين امتحنهم الله في واحدة من أهم الحواس ، يريدون منا أن نشعرهم بأهمية الإرادة والقدرة على التحدي والصبر والشجاعة في المواجهة وقهر العجز ، فتستحيل قواهم ومشاعرهم إلى قوة وبطولة وعطاء ، ويريدون أيضاً أن نسوق إليهم الأمثلة والنماذج والقدوة ، كأمثال الموسيقار العالمي الأصم "بيتهوفن" والأديبة الصماء "هيلين كيلر". الأمر الذي سيجعلهم يقدمون على الحياة بابتسامة واختراق وتحدي وأمل.

أن الأطفال الصم يريدون منا ألا نفترض غباءهم أو قلة حيلتهم أو استسلامهم لإعاقتهم بل يسعدهم تماماً أن ننظر إليهم أنهم قادرون على تحدي إعاقتهم وقادرون على الإبداع والمشاركة الفعالة في العديد من المجالات التي يشارك فيها أقرانهم الأسوياء.

إن الأطفال الصم يريدون منا أن نساعدهم بإخلاص على تنمية ملكاتهم وقدراتهم وخيالهم واستمتاعهم بحياتهم ونساعدهم أيضاً على أن يضيفوا الكثير إلى معارفهم وأن نيسر لهم المعارف الجديدة في مجالات العلوم والتكنولوجيا والكمبيوتر ، حتى لا يكونوا متخلفين عن غيرهم من الأسوياء.

يريد منا الأطفال الصم أن نستطلع رأيهم قبل وأثناء وبعد أن نقدم لهم ما نريد ، إنهم يريدون أن نشركهم في خططنا التي نضعها لهم وأن يكون لهم وجود بشكل ما.

يريد منا الأطفال الصم أن نعطيهم الفرصة في أن يقدموا عروضاً فنية موجهة للأسوياء من أجل العمل على اندماجهم في المجتمع بشكل فعال وفي إطار فني بهيج. فالفن يجمل الحياة ويقلل قبحها ويقرب الأسوياء من المعاقين وينقل المشاعر والأحاسيس عبر جسر من المحبة بين القلوب ليتوحد الجميع.

يريد منا الأطفال الصم تعديل الخطة الدراسية السنوية داخل الصم في إطار تطوير التعليم وتحديثه وذلك بالاعتماد على الأنشطة التربوية في تعليم الصم بنسبة ٥٠٪ واستخدام الدراما في تعليم الصم بدلاً من الاعتماد على أسلوب الحفظ والتلقين المتبع ولا بد من تخصيص نصف اليوم الدراسي للأنشطة التربوية يمارس فيه الطفل أكبر قدر من الأنشطة التربوية وخاصة النشاط المسرحي باعتباره وسيله من أهم وسائل إتصال الأصم بالعالم من حوله. فلا بد من خروج الأطفال الصم من حجراتهم الدراسية المغلقة ليمارسوا مختلف الأنشطة ويشعروا بالمذاق الطيب للحرية والحياة. ولابد من العمل في هذا الشأن على تحطيم الشعارات المتخلفة والداعية إلى قتل الأنشطة التربوية بوصفها مضيعة للوقت ، وعلينا أن نعلم أن الطريقة المثلى لتعليم الأطفال الصم هي ممارسة مختلف الأنشطة التربوية واستخدام الدراما في تعليم الصم.

إنني أرى أنه من العقلانية أن يتم إلغاء النشاط الموسيقي بمدارس الأمل للصم ليحل محلها الدراما نظراً لأن النشاط الموسيقي لا فائدة منه على الإطلاق لهذه الفئة إذ أن هؤلاء التلاميذ فاقدوا حاسة السمع التي بمقدورها تذوق النغم

الموسيقي وممارسته ، وبالمقارنة فإن الدراما كنشاط تربوي أحق أن تعتمد داخل مدارس الأمل للصم نظراً لأهميتها الكبرى لفئة الصم إذ تعتبر الدراما إحدى أهم وسائل الاتصال الكلي الشائعة بين هذه الفئة .

كما يريد الأطفال إعادة تأهيل ودمج الأطفال الصم داخل مجتمع الأسوياء وأعتقد بأن هذه الطريقة ليست في حاجة إلى تكاليف مادية باهظة بقدر ما تقوم على مبدأ إنساني وهو الرحمة والعدل والتغير من أجل التطوير والنهوض بتعليم الصم والذي يعاني من الملل والركود .

يريد منا الأطفال الصم بأن تتضمن الكتب الدراسية الخاصة للأطفال الأسوياء موضوعات تساعدهم على تقبل الطفل الأصم وإدماجه في محيطه الاجتماعي بغير حساسيات.

يطالب الأطفال الصم بحقهم في التعليم العالي وكذا رعاية المبدعون الصم ، كما يطالبون بالاهتمام بالمرأة الصماء وحقوقها وحاجاتها وضرورة الوقوف إلى جانب المعاقين الصم حتى ينالون حقوقهم داخل المجتمعات العربية دون تمييز أو تفرقة عن أقرانهم الأسوياء. ومن المعروف أن الصم لديهم مشاكل مختلفة عن الآخرين في كيفية التأهيل للعمل فهم أكثر الناس إيحاءً بأنهم ليسوا معاقين في حين أنهم قد يكونوا الأشد إعاقة.

يريد منا الأطفال الصم بأن يصبح لهم مناهج دراسية خاصة بهم وكتب دراسية خاصة بهم أسوة بمختلف الإعاقات ، حيث أن النظام المتبع حالياً يعتمد على تقديم المناهج الدراسية الخاصة بالأسوياء أو بالتعليم العام وتقدم للأطفال الصم داخل مدارسهم فهل تفتقر وزارة التربية والتعليم إلى خطة هادفة لإعداد مناهج خاصة بفئة الصم؟ فلابد من أن يصبح للصم كتب دراسية خاصة بهم لا

تعتمد على السرد والحكي المطول بل تعتمد على الصورة وتقترن الصورة فيها بالكلمة حيث أن الطفل الأصم يعتمد على عينيه في التلقي والتحصيل الدراسي وفي فهم ما يدور حوله من أمور مختلفة ، لذا أرى أنه من الواجب على المسئولين بوزارة التربية والتعليم اغتيال ذلك النظام التعليمي المتخلف المتبع حالياً داخل مدارس الأمل وتعديله بحيث يواكب القرن الواحد والعشرين ، ويواكب الثورة العلمية الهائلة في شتى أنواع العلوم لا سيما عالم الإعاقة ، ولابد من كف المسئولين ومن ماثلهم عن التفرقة والتمييز بين الإعاقات المختلفة فالإعاقة لا تتجزأ والطفل المعاق هو كل طفل له احتياجات خاصة مهما كانت درجة تلك الإعاقة كما جاء في الإعلان العالمي لحقوق الطفل المعاق الصادر عن الأمم المتحدة.

وأدعو جميع الهيئات والمسئولين إلى الالتزام بتفعيل هذا الإعلان العالمي والعمل به ، كما أنني باسم الرحمة والإنسانية أناشد المسئولين بوزارة التربية والتعليم في كافة البلاد العربية بضرورة العمل على عزل التلاميذ ضعاف السمع عن التلاميذ الصم داخل مدارس الأمل للصم وأؤكد على ضرورة جمع الأطفال ضعاف السمع بداخل فصل تعليمي خاص بهم دون الصم ، وذلك من أجل الحفاظ على ما تبقى لديهم من بقايا سمع ، ومما لا شك فيه بأن النظام المتبع حالياً داخل مدارس الأمل والذي يعتمد على دمج الأطفال ضعاف السمع بالأطفال الصم داخل فصل تعليمي واحد يعد جرماً في حق الإنسانية وانتهاكاً لحقوق الأطفال ضعاف السمع ، إذ أننا بهذا النظام القاسي والخالي من الرحمة نحول الطفل ضعيف السمع إلى طفل أصم ونسحق بلا رحمة ما تبقى في أذنيه من سمع وننتج بأيدينا معاقين جدد ، ونقذف بهم في قسوة داخل مجتمعاتنا العربية بدلاً من أن نؤهلهم ليقفوا على أعتاب الأسوياء تمهيداً لدمجهم في مدارس التعليم

العام بداية من المرحلة الإعدادية وللأسف الشديد فإننا بهذا النظام التعليمي المتبع حاليا وبالإبقاء عليه نحول بأيدينا مدارس الأمل العربية إلى مدارس لليأس وفقدان الأمل وأعلم كم هي مفزعة تلك الحقيقة التي تتكشف أمامنا ، وكم من حقائق أخرى مفزعة في هذا المجال الإنساني الذي يعاني من القصور المفرط والذي لا يعبر إلا عن سوء حال الأطفال الصم وضعاف السمع في كثير من الأمور التي أراها قد غابت عن أعين الكثير من المسئولين الذين تعللوا بحجة الأمر الواقع ولكن ما أجمل أن نصرخ في وجه الأمر الواقع بدلاً من الأطفال الصم ونقول له لا نيابة عنهم ، ونحاول إصلاح ما فسد وتطوير ما هو آت .....

أما إذا أبقينا على سلبيتنا المعهودة فلن ننال منها شرفاً وهل يشرفنا أن نزيد من آلام المتألمين ، إن شرفنا كامن في إرادتنا وفي الخطوة التي نندفع بها إلى التفوق على أنفسنا وفي تحطيمنا لكل فكر متخلف عتيق ، فلا مخلص لنا إلا الإرادة لأن الإرادة مبدعة ، ولابد من أن نحطم بمطرقة الإرادة صخرة الأمر الواقع المتمثلة في السلبية والسير في قطيع ، فهلموا نوحد الجهود ونخلص النوايا ونقفز فوق المترددين والمتأخرين ونغير واقع الأطفال الصم وضعاف السمع من القبيح إلى الجميل ونشعل لهم شمعة أمل تضيء لهم ممر إعاقتهم الضيق ونخرجهم من الغيوم السوداء إلى وضح النهار بل ونصنع منهم برقاً ساطعاً في سماء عالمنا العربي المعاق .....